المحاضرة السادسة

المنظمة الخاصة ونشاطها

لقد أثبت مجازر 8 ماي 1945 وما آلت إليه الحركة الوطنية للمناضلين والمكافحين بأن حرية الجزائر لا يمكن أن تتحقق بوسائل اللاعنف أو "الثورة بالقانون"، وأن الاستعمار لا يمكن أن يعترف بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا بالقوة والعنف، وبهذا أصبحت الأرضية صالحة للعمل الثوري، ومن أجل ذلك بدأت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تعد العدة للكفاح المسلح، فأسست منظمة خاصة في مارس 1947، وهي منظمة شبه عسكرية سرية.

1. ظروف تأسيس المنظمة الخاصة :

لم تكن الظروف في هذه الفترة ملائمة لمثل تلك المغامرة الخطيرة، لأن الشعب خرج من حرب منهوك القوى، ومحطما، والحزب نفسه (PPA. MLTA) يعاني من إرهاب الاستعمار والتنكيل بأعضائه، وبقية الأحزاب الأخرى لم تكن تؤمن بمنطق الثورة المسلحة، بل أن البعض منها كان يعادي ويقاوم الاتجاه الثوري، وأصحابه، وأمام هذه الوضعية بدأت الحيرة والضجر تنتاب القاعدة النضالية شيئا فشيئا، مما جعلهم ينتقدون تعقل قيادة الحزب أمام القمع والإرهاب المسلط من طرف الإدارة الاستعمارية عليهم، ذلك ما نبه إليه مسؤولو التنظيم في تقاريرهم من أنه يستحيل على القاعدة تحمل تعسف مصالح الشرطة والدرك، ولم يجد الحزب "MTLD " وسيلة يلجأ إليها للحيلولة دون انفجاره، إلا أن يعقد اجتماعا في شهر فبراير 1947.[1]

انعقد المؤتمر يومي 15 – 16 فبراير 1947، في اليوم الأول ببوزريعة، والثاني ببلكور، حضره مصالي الحاج، الأحول حسين، بن يوسف بن خدة، خيضر محمد، مزغنة محمد، محمد الأمين الدباغين، مسعود بوقادوم، حسين آيت أحمد، محمد بلوزداد، عمر أوصديق، سيد علي عبد الحميد، عبد الرحمن طالب، حمو بوتليليسي، هواري سويح، محمد

[1] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص321.

يوسفي، مبارك فيلالي، واعلي بناي، إبراهيم معيز، شوقي مصطفاي سعيد عمران، أحمد بودة، حسين عسلة، عبد الملك تمام، محمد ممشاوي، حاج محمد شرشالي[1].

وعلى الرغم من حرارة المناقشات، كان جميع الحاضرين حريصين على الاتجاه الاستقلالي، لذا صادق المؤتمر في النهاية على مجموعة من القرارات تدعو كلها إلى تحقيق الاستقلال الوطني، وإنهاء الاستعمار بأية وسيلة كانت، ولو عن طريق العنف والقوة، ومن أجل ذلك اتخذ قرارا بإنشاء منظمة شبه عسكرية تحت إشراف الحزب توجيها، وتمويلا، عرفت واشتهرت فيما بعد باسم "المنظمة الخاصة" أو "المنظمة السرية"[2] (O.S)، ومهمتها الإعداد للعمل الثوري[3].

كذلك قرر الحزب في هذا المؤتمر الإبقاء على حزب الشعب الجزائري في إطاره القديم للعمل على توسيع القاعدة الحزبية السرية، والظهور بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالمظهر الشرعي والإطار القانوني.

لقد استقبل المناضلون في صفوف (ح. إ. ج. د) بارتياح، لاسيما المتحمسون من الشبان للعمل الثوري قرارات المؤتمر بحماس وأمل، وبذلك نجا الحزب من تصدع كان متوقعا.

2. إنشاء المنظمة الخاصة :

على إثر موافقة قيادة (PPA MTLD) على إنشاء تنظيم شبه عسكري، أسندت مهمة تنظيمه للشاب "محمد بلوزداد" الذي تجمعت فيه خصال أهلته لأن يتقلد بجدارة واستحقاق هذه المسؤولية الصعبة، والمهمة الثقيلة، وأهلته لينال رضا القيادة، ولعل ماضيه النضالي، هو الذي جعله يفوز بإجماع القيادة.

---

[1] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص233.

[2] يستعمل محمد بوضياف تسمية المنظمة السرية، بينما يسميها أحمد مهساس "المنظمة الخاصة" (ينظر : بوعلام بن حمودة، المرجع السابق، ص138.)

[3] يحيى بوعزيز، سياسة -1-، المرجع السابق، ص123.

لقد كان الشاب عضوا بـ "لجنة شباب بيلكور"، رافق الأحداث التي عاشتها البلاد خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت له آراء صائبة، وكان أحد المنظمين المسؤولين عن تنظيم وتأطير مظاهرات 8 ماي 1945، ليتولى بعدها مسؤولية إعادة تنظيم الحزب في كامل الشرق الجزائري، فتأكدت مهارته وكفاءته، وبعد نظره، ومن توقعات وتحليلاته الصائبة أن "النقطة السوداء في القضية الجزائرية هي المليون أوربي..."[1]، وأشرف "محمد بلوزداد" بنفسه على إعداد هيكل المنظمة الخاصة، وتشكيل قيادة أركانها، بالتعاون مع بعض أعضاء المكتب السياسي أمثال : الدكتور محمد الأمين دباغين، الذي نصحه بتجنيد أحمد بن بلا، وحسين آيت أحمد[2].

ومنذ البداية تمكن محمد بلوزداد أن يضفي على المنظمة الخاصة طابع السرية والجدية والانضباط، وزودها بقانون داخلي ضمنه جميع الضوابط التي تتحكم في مقومات جيش مقتدر، فجعل كل منطقة تشمل على عدد من النواحي، والناحية مقسمة إلى مجموعة من الفرق، والقرقة إلى عدد من الفروع، والفرع إلى عدد من الأفواج، وكل فوج مقسم إلى ثلاث مجموعات، والمجموعة من مناضلين، وقائدهم، والفوج من ثلاث مجموعات وقائدهم، على أنه لا تتعرف أي مجموعة أو فوج على بقية الأفواج والمجموعات[3].

ومن أواخر سنة 1947 إلى سبتمبر 1949 تكونت قيادة المنظمة الخاصة الثانية من "حسين آيت أحمد" الذي خلف بلوزداد الذي كان مريضا (توفي في بارسي سنة 1949) و"عبد القادر بلحاج جيلالي"(عضو مكلف بالتدريب العسكري بالمفتشية العامة) و"محمد ماروك" (مكلف بمنطقة الجزائر 2 والظهرة وشلف)، و"محمد بوضياف" (عضو مكلف بنواحي قسنطينة)، و"أحمد بن بلة" (عضو مكلف بنواحي وهران)[4].

ولم يحدث "آيت أحمد" أي تغيير في التركيبة البشرية بل سعى إلى تطوير وإثراء تكوين المنخرطين في المنظمة، حيث أنجز نشرة خاصة بالتدريب العسكري شملت على إثني

---

[1] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص234.

[2] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص180.

[3] Yves Couriere, La guerre d'Algérie 1954-1957, Edition Robert Laffont, Paris, 1990. P52.

[4] بوعلام بن حمودة، المرجع السابق، ص138.

عشر (12) درسا في كيفية استعمال الأسلحة، وخوض حرب العصابات، وإعداد الكمائن، إلى غير ذلك من فنون الحرب التي يحتاج إليها المناضل في مرحلة الكفاح المسلح[1].

أما القيادة الثالثة، فقد تكونت في الفترة الممتدة من سبتمبر 1949 – إلى ماي 1950 بقيادة أحمد بن بلة الذي خلف حسين آيت أحمد المعزول نتيجة الأزمة البربرية، و"محمد بوسيفي" (عضو مكلف بالمرافق العامة، وبالمتفجرات وبالمواصلات)، أما "عبد الرحمن بن سعيد" أسند إليه الإشراف على نواحي وهران، وكلف جيلالي رحيمي بالجزائر1، وبالمتيجة، والتيطري، وبلاد القبائل و"أحمد مهساس" بالجزائر2، والشلف والظهرة، و"محمد بوضياف" بنواحي قسنطينة، وعين العربي بن مهيدي كعضو مساعد لمحمد بوضياف[2].

لقد كانت الأزمة البربرية[3] بمثابة الضربة التي أضعفت المنطقة الخاصة، وحولتها بالتدريج من تنظيم صلب اقترب من إشعال فتيل الثورة، إلى كيان هش.

3. نشاط المنظمة الخاصة :

لقد حرصت المنظمة الخاصة على تجنيد مناضلين ملتزمين ومقتنعين، وناشطين وقادرين جسديا، وبعد امتحانات صعبة، وبعد أداء القسم بأن يقدم المناضل المنظمة جميع إمكانياته لخدمة القضية الوطنية التي ضحى بحياته من أجلها.

كان أعضاء قيادة المنظمة الخاصة هم أيضا يشاركون في التدريبات، التي كانت ليلا للإفلات من المراقبة الأمنية لإدارة الاحتلال، كان تكوين المجندين في المنطقة يهدف إلى التزويد بالمعلومات العسكرية، خاصة في ميدان حرب العصابات، وكذلك الحصول على

---

[1] الغربي الزبيري، المرجع السابق، ص183.

[2] بوعلام لن حمودة، المرجع السابق، ص139.

[3] للاطلاع على الأزمة البربرية يمكن العودة إلى كتاب:
Mohamed Harbi, de F.L.N, mirage et réalité 1945- 1962, E.N.A.L, Alger 1993, p 59.

الأسلحة بجميع الوسائل، بجمعها وشرائها من الداخل أو الخارج بواسطة شبكات مدعمة للمنظمة[1].

وبعدما قضى أعضاء المنظمة الخاصة سنة قاسية في العمل الجاد، واجهت قيادة المنظمة مشكلة الرغبة الملحة للمناضلين المدربين في خوض العمل ميدانيا، لاستغلال ما تدربوا عليه، لأن بقاءهم في حالة الانتظار ليس في صالح المنظمة، وقد تطلب الأمر عقد اجتماع في شهر ديسمبر 1948 في مزرعة "بلحاج جيلالي" بمنطقة "زدين" (نواحي عين الدفلة) استعملت فيه قيادة الحزب PPA MTLD إلى تقرير أعده "حسين آيت أحمد" تضمن أربعة أقسام وهي :[2]

القسم الأول : بخصوص الكيفيات التي يجب أن يكون عليها الكفاح من أجل التحرر.

القسم الثاني : خصصه التقرير لعرض الوضعية السياسية للحزب.

القسم الثالث : جاء فيه الأهداف والإجراءات الضرورية للمبادرة بتفجير الثروة ومنها إعادة تنظيم الحزب على قاعدة جديدة وفق متطلبات الاحتكاك الدائم بالمناطق الريفية، وذلك بإعداد برنامج يهدف إلى تعميق الضمير الثوري بين الطبقات الريفية، لإبراز البعد الاجتماعي للثورة التحريرية، وضرورة إنهاء هيمنة الحزب الشيوعي الجزائري على النقابات العمالية.

وجاء في ختام التقرير الدعوة إلى تشكيل نواة من أعضاء اللجنة المركزية للحزب تسهر على تطبيق قرارات المكتب السياسي، وتحديد موعد اندلاع الثورة في أقرب وقت ممكن.

لقد برهن التقرير بما لا يدع مجالات للشك بالعودة إلى تاريخه بأن الثورة التحريرية في نوفمبر 1954، ليست بالثورة المستوردة من الخارج ولا هي بالثورة التي أوحت بها عناصر أجنبية، ولا هي مجرد مغامرة مرتجلة بعيدة عن كل تخطيط وإعداد.

---

[1] Henri jacquin, op cit, p 81.

[2] MOHAMED HENRI. OP CIT, P47-48.

وما بين عامي 1948 – 1950 قامت المنظمة ببعض العمليات نجحت في أغلبيتها وفشلت في البعض الآخر، ومن أشهر عملياتها : الهجوم على بريد وهران في أفريل 1049 نظرا للضائقة المالية التي كانت تمر بها المنظمة الخاصة، وروى أحمد بن بلة تفاصيل هذه العملية في مذكراته، حيث ذكر : "لقد نظم الهجوم بعناية، ولكي نحول شكوك البوليس عن مناضلينا قررنا أن نعطي للقضية شكل عملية سطو مسلح (Hold-up) نظمه بيرو لوفو "Pierro le fou" التي كانت مآثره في ذلك العهد حديث الصحف، فاخترنا كمنفذين للعملية جزائريين شقر، وكسوناهم على النمط الأوربي، وأمرناهم بأن يتحدثوا باللهجة الباريسية..."[1].

وقد كللت العملية بالنجاح على الرغم من المبلغ الذي تم أخذه لم يكن كبيرا (3.070.000 فرنك قديم[2]) حسب الكاتب الصحفي الفرنس إيف كورياز Yves Courriere، غير أن ذلك اعتبر بمثابة أولى غنائم الحرب[3].

ومن بين النشاطات التي قامت بها المنظمة الخاصة في الفترة الممتدة من 1948 – 1950 نذكر محاولة تحطيم التمثال الذي أقامته السلطات الاستعمارية "للأمير عبد القادر" بمنطقة "كاشرو" (سيدي قادة، دائرة تغنيف معسكر)، وبخصوص الحادثة يقول أحمد بن بلة: "بدالنا إقدام الاستعمار على التظاهر بصداقة البطل الذي دافع عن استقلال الجزائر ضد غزاتها، طوال خمسة عشر عاما، بدا لنا كمحاولة لتدنيس ذكرى الأمير العظيم، ولم ننجح تماما في العملية..."[4].

كما قامت المنظمة الخاصة بملاحقة والقضاء على أفراد من مليشيات شكلها البشاغوات والقياد، وكان من أخطرها مليشية البشاغا آيت في منطقة القبائل[5].

---

[1] روبير ميرل، مذكرات أحمد بن بلة، تر العفيف الأخضر، منشورات دار الأدب، بيروت، ب ت، ص82 – 83.

[2] أحمد بن بلة : "كنا نفكر على ضوء معلوماتنا أننا سنستولي على ثلاثين (30) مليون فرنك، كان يمكن أن تملأ فجأة خزانة الحزب وتمكنا من شراء الأسلحة" ينظر : مذكرات أحمد بن بلة، المصدر السابق، ص84.

[3] Yves Courriere. OP CIT. P56.

[4] أحمد بن بلة، المرجع السابق، ص81-82.

[5] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص183.

كل هذه العمليات التي قامت بها المنظمة الخاصة نجحت بدرجات متفاوتة، واتخذت منها قيادة الأركان تجارب يمكن توظيفها لإرساء قواعد آلة حربية قادرة على نقل النضال الوطني إلى مرحلة العنف الثوري.

4. اكتشاف أمر المنظمة الخاصة : (حادثة تبسة).

بينما كانت تحركات المنظمة الخاصة إلى غاية 1950 تنم في معظمها على الاستعداد للثورة التحريرية، إذ بالسلطات الاستعمارية تكشف أمرها، وتصل إلى السر عن طريق الصدفة بمدينة تبسة، وهو ما أصبح معروف بـ (حادثة تبسة) التي روى تفاصيلها "أحمد مهساس" حيث ذكر : "أن أحد المناضلين ؛عبد القادر خياري الملقب برحيم) كان مستاء من فصله عن صفوف الحزب (MTLD) في تبسة، فأخذ يقدح في مصداقية الحركة، ويهدد بإفشاء الأسرار التي كانت بحوزته عن المنظمة الخاصة، رغم محاولات المناضلين حمله عن التعقل، وقصد تخويفه قامت عناصر المنظمة باحتجازه، ولكنه تمكن من الفرار، فأدلى بما كان لديه من معلومات عن أعضاء المنظمة إلى محافظة الشرطة...:[1].

ونتيجة لذلك قامت مصالح الشرطة بحملة واسعة من الاعتقالات بلغت حوالي 400 عملية اعتقال، وصدور 200 حكم يصل إلى 10 سنوات سجن، والمنع من الإقامة، والحرمان من الحقوق المدنية، وفرض غرامات مالية[2].

شكلت حادثة تبسة فرصة سانحة لمصالح الشرطة لتبرر اللجوء إلى القمع وتعذيب المستجوبين أثناء استنطاقهم، لإثبات وجود تنظيم عسكري تابع لحزب الشعب الجزائري.

كما كان اكتشاف المنطقة الخاصة، وما تبع ذلك من اعتقالات سببا كافيا ليعود دعاة الشرعية في قيادة الحزب إلى المطالبة بضرورة التخلي عن كل أنواع العنف ويعتبر ذلك تنكرا صارخا لبرنامج الحزب، ودعوة صريحة لممارسة سياسة الإصلاح على حساب التوجه الثوري الذي بدأ مع تأسيس نجم شمال إفريقيا، مما أدى إلى نشوب صراع خطير

[1] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص332.
[2] المصدر نفسه، ص333.

تجلت جوانبه مع بداية سنة 1951 على الرغم من وقوف مصالي الحاج ضد أصحاب تلك الفكرة.